دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

OPEN ACCESS

تاريخ الاستلام: 25 سبتمبر 2021
تاريخ القبـــول: 25 يناير 2022

حكم الشيخ محمد بن ثاني لقطر في الفترة ما بين 1866-1878م

عبد القادر بن حمود القحطاني

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر

alqhtani@qu.edu.qa

ملخص

تُعَدُّ فَتْرَةُ حُكْمِ الشَّيخِ مُحمدِ بن ثاني لِقَطرَ خِلالَ القرن التاسعَ عَشَرَ من أصعب الفترات في تاريخ قَطر الحديث، وذلك نظرًا للظروف التي كانت تَمُرُّ بها البلادُ مِن النَّاحية الاقتصادية والاجتماعية، فضلًا عن النِّزَاعات الْحُدوديَّة، وفِي ظِلِّ التنافُسِ بين بريطانيا والدولة العثمانية في مِنْطَقة الْخَليج الْعربيّ.

وفِي ظِلِّ هذا الْوضع الصَّعب لمْ يَكُنْ تَأْسِيسُ الدَّولة سهلًا أو مُيسَّرًا، فقد كان على الشَّيخ مُحمدٍ بن ثاني القيامُ بالآتي: تَوحِيد القبائل تحت حُكمه في ظِلِّ نِظام حديثٍ يقوم على الحُكم المركزي تسودُه العدالةُ والمساواةُ بينَ جميع المُواطنين، وإنشاء قِوَّة عسكرية للدِّفاع عن الوطن والمواطن، والتحالُف مع الدولة العثمانية للْحِفاظ على كِيان الوطن واستقلاله وعدم السَّماح لأيِّ دولةٍ بالتَّدخُل في شؤون الْبلاد الدَّاخليَّة.

وانتهجت القيادةُ السِّياسيَّة ممثلةً بحاكم البلاد الشيخ محمد بن ثاني سياسة حَكيمة في عَلاقَاتِها مع دول الجوار، وكذلك مع بقيَّة الدول الشقيقة والصديقة تَقوم على الاحترام المتبادل، وعَدم التَّدخُل في شُؤون الآخرين؛ لهذا يمكننا القولُ: إنَّ قَطر سواء في عهد الشيخ محمد بن ثاني أو مَن أَتَى مِنْ بَعْده مِن حُكَّام آل ثاني، لم يعتدوا على أيِّ دولة مِن دول الجوار، وإنَّ الْحُروب التي جَرت بين قَطرَ وبعض جيرانها، إنما كانت دِفاعًا عن البلاد واستقلالها.

واستمرَّ الشيخ محمد بن ثاني في حُكم البلاد حتى تاريخ وفاته في شهر ديسمبر 1878م؛ ليخلفه في الحُكم ابنُه ووليُّ عهده الشيخُ قاسمُ بن محمد آل ثاني.

الكلمات المفتاحية: تاريخ قطر، الشيخ محمد بن ثاني، معاهدة 1868م، خراب الدوحة، العَلاقات القطرية-الظبيانية

للاقتباس: القحطاني، عبد القادر. «حكم الشيخ محمد بن ثاني لقطر في الفترة ما بين 1878-1866م»، **مجلة أنساق**، المجلد السادس، العدد الأول، 2022

https://doi.org/10.29117/Ansaq.2022.0155

© 2022، القحطاني، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

OPEN ACCESS
Submitted: 25 September 2021
Accepted: 25 January 2022

The Reign of Sheikh Mohammed bin Thani of Qatar (18661878- A.D.)

Abdulqader Hemoud Al-Qahtani

Professor of Modern and Contemporary History, Department of Humanities, College of Art and Science, Qatar University

alqhtani@qu.edu.qa

Abstract

The reign of Sheikh Mohammed bin Thani of Qatar during the nineteenth century is one of the most challenging periods in the history of modern Qatar due to the economic and social conditions the country was going through. This is in addition to the border disputes in light of the rivalry between Britain and the Ottoman Empire in the Arabian Gulf region. During that difficult situation, the establishment of the State was not easy. Sheikh Mohammed bin Thani had to do the following: a) Unite the tribes under his rule in a modern system based on the central rule of justice and equality among all citizens. b) Establish a military force to defend the homeland and citizens. C) Ally with the Ottoman State to preserve the entity and independence of the homeland, and d) not allow any states to interfere in the country's internal affairs.

The political leadership of Sheikh Mohammed bin Thani adopted a wise policy in its relations with neighboring countries as well as with the rest of the brotherly and friendly countries based on mutual respect and non-interference in the affairs of others. Therefore, we can assume that Qatar, whether during the reign of Sheikh Mohammed bin Thani or those who succeeded him from the rulers of Al-Thani, did not attack any of the neighboring countries. Moreover, the wars that took place between Qatar and some of its neighbors were in defense of the country and its independence.

Sheikh Mohammed bin Thani continued to rule the country until his death in December 1878, to be succeeded by his son, Crown Prince Sheikh Qasim bin Mohammed Al Thani.

Keywords: History of Qatar; Sheikh Mohammad Bin Thani; The 1868 Treaty; The Destruction of Doha; Qatari-Abu Dhabi Relationship

Cite this article as: Al-Qahtani, A.H., "The Reign of Sheikh Mohammed bin Thani of Qatar (1866-1878 A.D.)" *Ansaq Journal*, Vol. 6, Issue 1, 2022

https://doi.org/10.29117/Ansaq.2022.0155

© 2022, Al-Qahtani, A.H., licensee QU Press. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

1. مقدمة جغرافية وتاريخية واقتصادية عن دولة قطر

قَطَرُ ... يُنْطقُ اسمُ قَطَرَ بفتح القاف والطاء، وقد ورد اسمُ قَطَرَ في خريطة شِبه الجزيرة العربية لبطليموس اليوناني المتوفيّ سنة 167م، وكانت قطرُ ضِمن المناطق التي ذكرها باسم (كتارا)، كذلك جاء اسمُ قطرَ في مُعجمِ البُلْدان لياقوت الحَمَويّ، ويمكننا القولُ: إنَّ قطرَ مَعروفةٌ مُنْذُ القِدَم، فقد ورد ذكرُها في جميع الكُتب القديمة التي يَصْعُب حصرُها (الشملان 554–555)، وعرف العرب اسمَ قطرَ بما اشتُهرت به في القديم بما تنتجه من الملابس، وبتربيتها للخيول العربية، وتربية حيوان المَها وحيوان النَّعام والإبِل، واشتُهرت قطرُ بصناعة البُرود القطرية ذات اللون الأحم،. وكان الرسول محمد ﷺ، وأم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، ممن لبس البُردة القطرية، وأيضًا لبسها الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما (خالد آل ثاني 24).

الموقع: تقع دولةُ قطرَ في قارَّة آسيا، وفي الجِهَة الشَّرْقِيَّة مِن شِبْه الجزيرة العربية، وفي مُنْتَصف السَّاحل الْغَرْبيّ للخليج العربيّ، وهي شِبه جزيرة تُحيط بها المياُه من ثَلاث جِهاتٍ مِن الشَّمال والشَّرق والْغَرب، وتتَّصل بالعالم عن طريق الْبِّر من جِهَة الْجَنُوب الْغَرْبيّ عَبْرَ الأراضيّ السّعُودِيَّة (العثمان 328).

المساحة وأهمية الموقع: مساحةُ دولةِ قَطَرَ حسب اتِّفاق معظم المصادر، 11607 كيلومتر مربع، ويبلغ طُولُ شِبه جزيرة قطر من جنوبها إلى شَمالِها حوالي 188 كيلو متر، وأَقْصى عَرْض لها بين مدينة الدَّوْحة شرقًا ومدينة دخان غربًا نحو 85 كيلومتر، وتتمتع دولةُ قطر بساحلٍ بَحْريٍّ يَبْلُغُ طُولُه نحو 700 كيلومتر، وهذا السَّاحل الْبَحْريُّ الطويل له أهميةٌ كَبيرة مِن النَّاحية الاقتصاديَّة، فمُعْظم إنتاج قطرَ مِن النَّفط من الحُقُول الْبَحْريَّة، وكذلك إنتاجُ الغاز الطَّبيعيّ المُسال يُستخرج مِن الحُقول الْبَحْريَّة؛ حيثُ تُعدُّ دولةُ قطرَ أكبرَ مَصْدرٍ لِلْغاز الطَّبيعيّ في العالم، وقد أتاح هذا السَّاحلُ الطويل لدولة قطرَ إقامةَ عددٍ مِن الموانئِ الْبَحْريَّة المتعددة الأغراض، هذا فضلًا عن الثروة السمكية التي تُستخرج مِن المياه الإقليميّة لدولة قطرَ والتي تُعدُّ من الثروات التي لا تَنْضُب (الخليفي 539) ؛ (الشلق وآخرون 12). ويمكننا القولُ: إنَّ هذا الموقعَ المهم لدولة قطر وإحاطة مياه البحر به من ثلاث جِهات جعل الله منه موردًا للرزق لِسُكَّان قطرَ في الماضي والحاضر؛ فقد كان السكان قَبل تَصْدير النَّفط في منتصف القرن الماضي، يَعُدُّون البحر مصدر رزقهم، فقد كان بعضهم يعمل في الغوص بَحْثًا عن اللؤلؤ والمتاجرة فيه، ونظرًا لأهمية اللؤلؤ وإقبال الأغنياء والأثرياء على شرائه من العرب والأجانب كان المورد الرئيس لدخل المواطن والحكومة على حدٍ سواء، كذلك عَمِل بعضُ السُّكَّان في النشاط التجاريّ ولا سيما مع بُلدان جنوب آسيا، وفي مقدمتها شِبه القارة الهنديَّة، وكذلك مع جنوب شرق آسيا خاصةً مع الصين، ومع شرق أفريقيا، وبعض السُّكَّان كان يعملُ في صَيَّد السَّمك وبيعه، ومما لا شك فيه أنَّ النَّشاط الاقتصاديّ في البحر، سواءٌ العمل في استخراج اللؤلؤ أو في التجارة أو في صيد السمك، ترتب عليه عددٌ من الحِرف والمِهَن، مِن ذلك صناعةُ السُّفن مختلفة الأحجام والقوارب، وهذه المهنة اشتغل بها عددٌ من المواطنين ومن العِمالة الهِنْديَّة الماهرة التي تتقن صِناعة السفن، وكانت الأخشاب والألواح الخشبية والحِبال تستورد من الهند (الشيباني 172؛ ذياب 37)، وقد ساعد هذا الموقعُ لِدولةِ قَطَرَ على مياه الخليج على إقامة المُدن والْقُرى على ضِفافه بما فيها عاصمة الدولة، مدينة الدوحة، وقد لَعِبَت المياه الْعَذْبة دورًا رئيسًا في قِيام التَّجَمُّعات السُّكَّانِية، فمدينة الدَّوحة كانت تعتمد على آبار المياه من وادي مشيرب ومنطقة نعيجة، وهو ما ساعد على نُمُوِها وتطوُرها، وذلك

بعكس بعض المناطق التي كانت تعاني مِن قِلَّة المياه الصالحة للشرب، مثل: فويرط، والغارية، والذخيرة، والوسيل، وسميسمة، والحويلة، ولكن – بفضل الله – بعد تصدير البترول في نهاية عام 1949م، كان أول ما قامت به الدولة هو إنشاء محطات لتحلية مياه البحر؛ لتَزْوِيد المُدن والْقُرى بالمياه الْعَذْبة الصِّحِّيَّة، وبذلك أصبحت دولةُ قطرَ في الوقت الحالي أكبرَ دولة منتجة للمياه ومنتجة للكهرباء في العالم العربي (رياض 82–84).

المُناخ الجَوِّيّ في قَطَرَ وأثرُه في النَّشاط الاقتصاديّ: مُناخ قطرَ جَافٌ يغلبُ عليه الطابعُ الصَّحْراويّ، تصلُ درجةُ الحرارة صيفًا أكثر من 40 درجة مئوية، وكذلك ترتفع نسبة الرطوبة صيفًا؛ حيثُ تتراوح بين 60–80 بسبب الموقع المداري وإحاطة شبه جزيرة قطر بمياه الخليج الدافئة، وتَسْقُط الأمطارُ على البِلاد في فصل الشتاء، لكنَّها قليلة لا تكفي لزراعة المحاصيل الغذائية كالقمح، إضافةً إلى أنَّ تُرْبةَ قَطَرَ يَغْلب عليها الطابعُ الصَّحْراويّ، ومع ذلك يترتب على سُقوط الأمطار القليلة اخضرار الأشجار الْبَرِّيَّة والمسَطَحات الخضراء التي تساعدُ على رَعْي الماشية والإبل.

ومن أهمِّ المحاصيل الزراعيَّة أشجارُ النَّخِيل، وإنتاجُ بعض الخُضَر والفواكه أهمُّها أشجارُ الليمون والبرتقال، والبطيخ والشمام، وتقوم الْحُكومة القَطَرية في السنوات الأخيرة بتشجيع المزارعين على زراعة المحاصيل الْغِذائيَّة بكل أنواعها، وتقومُ وَزارة البلدية والزراعة بحفر الآبار، وتمنح المزارعين المولدات الكهربائية والبذور وتقوم بمكافحة الآفات الزراعية، وتقدِّم للمزارعين الإرشادات الزراعية، لكن في الماضي قبل تصدير البترول والغاز الطَّبيعيّ المُسال، كانت الزراعة في قطر – كما أشرت – قليلة؛ ولهذا تَوجَّه عددٌ كبير من المواطنين للعمل في النشاط البحريّ (البحيري 12).

الحُدود الجُغْرافِيَّة: ترتبط دولةُ قطرَ بِحدُود مع بعض دول الخليج العربيّ، تحدُّها المملكة العربيَّة السعوديَّة من جِهة الجَنُوب الغربيّ، وتحدُّها من جِهة الشَّرق دولةُ الإمارات العربية المتحدة وسلطنةُ عُمان، وتحدُّها مملكةُ البحرين ودولةُ الكُوَيْت من الجِهة الشَّماليَّة الغربيَّة، وقد نتج عن الحدود مع دول الجَوار – للأسف الشديد – كثيرٌ من المتاعب لدولة قطر على مدى أكثر من قرن ونصف القرن من الزمن، تخللتها حروبٌ بين قَطر وجيرانِها الأشقاء (العناني 9–10؛ الشيباني 188–190)، وموضوع الحُدود سوف نتناولُه لاحقًا بالتفصيل خاصةً الحُدود بين قطر وكلٍ من البحرين وأبوظبي في فترة حُكْم الشيخ محمد بن ثاني، والشيخ قاسم بن محمد آل ثاني.

1.1. النشاط الاقتصادي قبل البترول

كانت تجارة اللُّؤْلُؤ في القرن التاسع عشر تُعدُّ المورد الرئيس للمُواطِن القَطَريّ، فقد كان ثلثُ السُّكَّانِ يعملون في الْغَوص بحثًا عن اللُّؤْلُؤ والمتاجرة فيه، وكان الشيخ محمد بن ثاني وابنُه الشيخُ قاسم بن محمد آل ثاني من كِبار تُجَّار اللؤلؤ في مِنْطقة الخليج العربيّ.

وكان موسمُ الغوص على اللُّؤْلُؤ يبدأ معَ بداية الصَّيف وبالذات من شهر مايو، وينتهي في نهاية أغسطس تقريبًا من كل عام، وكانت عمليةُ الغوص تَتَطلَّب رأسَ مالٍ؛ لتجهيز سفن الغوص وتقديم السُّلف للعاملين على ظهر السفن، وكان التُّجَّار هم الممولون لسفن الغوص، يقوم البحار المقترض بإعادة القرض مع الفوائد المتفق عليها بعد بيعه للؤلؤ، وكان البحار يقترض المال لتركه لأسرته أثناء غيابه لشراء احتياجاتهم الضرورية، وكانت

الحكومة القطرية تعتمد على الإيرادات المالية من الضرائب المفروضة على تجارة اللُّؤْلُؤ وغيرها، وقد شهدت تجارة اللؤلؤ كسادًا؛ لعدم إقبال الناس على شرائه أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها، خاصةً بعد قيام اليابان بإنتاج اللُّؤْلُؤ الصناعيّ، الذي تميّز بألوانه المختلفة وبرُخْص ثَمَنِه، وقد كانت لهذه الأحداث آثارٌ سلبية على دَخْل الْحُكُومة القَطَرية وعلى مَعِيشة المواطنين (الجابر 15–22).

2.1. سكان قطر

يذكر المؤرخُ الإغريقيّ هيرودوت أنَّ أول مَن استوطن قطر بصفةٍ خاصَّةٍ ومِنطقة الخليج العربي بصفة عامَّة هم الكنعانيون بعد هجرتهم من اليمن، وكذلك هجرة عدد من القبائل العربية إلى المنطقة، من ذلك قبائل عبد القيس والأزد وبكر بن وائل وبني تميم، وممَن سكنها مِن القبائل العربية البائدة طسم وجديس، ويمكننا القول: إنَّ الذي ساعد على هجرة القبائل العربية من جنوب شبه الجزيرة العربية وشمالها ووسطها إلى قطرَ كالقحطانية والعدنانية، هو سهولة الوصول إليها؛ لعدم وجود موانع أو حواجز طبيعية كالجبال العالية، فهي ترتبط برًا بشبه الجزيرة العربية من جهة الجنوب بأرض مُنْبَسطة، ولهذا فقد شَهِدت دولةُ قطر هجراتٍ عربيةً في التاريخ القديم والحديث (التميمي 124)، وكان ممَن نال شهرة في البطولات في التاريخ الإسلامي من أبناء قطر هو قطري بن الفُجَاءة، واسمه الكامل: جعونة بن مازن بن يزيد بن حبتر بن كابيه بن حرقوص بن مازن ابن ملك بن عمرو بن تميم بن مر المازني التميمي، وقد عُرف باسم الفُجاءة، نسبة إلى أبيه الذي كان باليمن فقَدِم على أهله فجأةً، وكان قطري بن الفُجاءة فارسًا شجاعًا، خاض العديد من المعارك في عهد الدولة الأموية والعباسية حتى تاريخ مقتله على يد سُفيان بن الأبرد الكلبي القحطاني في إحدى المعارك في طبرستان جنوبي بحيرة قَزْوِين في سنة 79 للهجرة النبوية الشريفة، وجِيء برأسه إلى الحجاج بن يُوسُف الثقفيّ الّذي قام بإرساله إلى الخليفة الأُمَوُيّ عبد الملك بن مروان في دمشق (الشيباني 20–21).

3.1. دخول الإسلام إلى قطر

اعتنق أبناءُ قطر الدِّين الإسلاميّ مُنذُ عَهد خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان ذلك في السنة الثامنة من الهجرة النبوية، عند ما وصل الصَّحابيّ أبو العلاء الحضرميّ إلى مِنطقة الخليج العربي حاملًا رسالة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حاكم البحرين الْمُنْذر بن ساوي يدعوه ومن معه للإسلام، وهذا نصُّ خِطاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المنذر بن ساوي: «من مُحَمَّد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلامٌ عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا هو، أما بعدُ.. فإني أدعوك إلى الإسلام فأَسْلِم تَسْلَم، وأَسْلِم يجعلْ لك اللهُ ما تحت يديك، واعلم أنَّ ديني سيظهرُ إلى مُنتهى الخُفِّ والحَافِر. محمدٌ رسولُ الله».

وقد أسلم المنذر بن ساوي بعد أنَّ قرأ رسالة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسلمت معه شعوبُ مِنطقة الخليج العربي، وبقيّ المنذرُ محافظًا على إسلامه حتى وفاته في سنة 11 للهجرة – رحمه الله تعالى (ع. التميمي 44–77).

4.1. تأسيس النظام السياسي في قطر على يد آل ثاني

لقد كانت قطر قبل تأسيس حكم آل ثاني القائم على النظام والقانون في منتصف القرن التاسع عشر، تحكُمها الزَّعامات القَبَليّة القائمة على العُرف، كلُ زعيمِ قبيلة يحكم مِنطقةً مُعينة من البلاد حُكْمًا لا يستند على قانون أو شرع، وإنما على العرف، ولم تشهد قطرُ الحُكْم المركزيّ القائم على الشرع والقانون إلا في عهد أسرة آل ثاني التي استطاعت تأسيس النظام السياسيّ في البلاد، وأنْ تحافظ على استقلال البلاد بكل الوسائل الممكنة سواء بالنفس أو المال (خالد آل ثاني 36).

ينتسب شيوخُ قطر وأمراؤها إلى جَدِّهم الشيخ ثاني، وهو ثاني بن محمد بن ثامر بن علي بن سيف بن محمد بن راشد بن علي بن سلطان بن بريد بن سعد بن سالم بن عمرو بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن – عليهما السلام، ويلتقي النسبُ مع جَد الرسول محمد بن عبد الله ﷺ في الجَد السابع عشر إلياس (سعود آل ثاني 14–16). ويُطلق على آل ثاني اسم المعاضيد، واسم المعاضيد أيضًا أُطلق على الذين عاضدوا الشيخ محمد بن ثاني حين اختلف مع أهل مِنطقة فويرط (إبراهيم 53–54). وقد رحل آل ثاني مِن دِيارِهم في مِنطقة أشيقر الواقعة في إقليم الوشم من نَجد إلى واحة جبرين أو يبرين في إقليم الإحساء في أواخر القرن السابع عشر، ثم انتقلوا إلى قطر برِئَاسة رئيسهم الشيخ محمد بن علي بن ثامر إلى الرويس، ومنها إلى منطقة الزبارة التي وُلد فيها جَدُ الأسرة الحاكمة في قطر الشيخ ثاني بن محمد في عام 1780م، وبعد سنوات انتقل الشيخ ثاني إلى مِنطقة فويرط التي وُلد فيها الشيخُ محمد بن ثاني في عام 1800م، وفي هذه المنطقة تُوفي فيها الشيخُ ثاني بن محمد بن علي المعاضيد عن عمر ناهز 116 عامًا – رحمه الله تعالى. وفي عام 1847م غادرت أسرةُ آل ثاني بزَعامة الشيخ محمد بن ثاني منطقة فويرط، وحطَّت رحالها في مدينة الدَّوحة، واتخذ الشيخ محمد بن ثاني مِن مِنطقة البدع إحدى ضواحي مدينة الدوحة مقرًا للسَّكن؛ لارتفاعها ولقربها من البحر (سعود آل ثاني 58–59).

2. خراب الدوحة الأول 1847م

لقد كانت قطر مَيدانًا للصِّراع بين آل خليفة على الحكم بعد وفاة مؤسس الحكم في البحرين أحمد بن خليفة الملقب بأحمد الفاتح، الذي تمكَّن بمساعدة القبائل القطرية من فتح البحرين سنة 1783م، وطرد حكامها من الجُبور الخاضعين لملك الفُرس، وبعد وفاته في عام 1840م تولَّى الحكمَ أخوه الشيخُ عبد الله بن خليفة، لكن ابن أخيه الشيخ محمد بن أحمد آل خليفة تمكَّن في عام 1843م، من انتزاع الحكم منه بعد معارك بينهما، أهمُّها موقعة المحرق إحدى جُزر البحرين التي انتصر فيها الشيخ محمد بن أحمد على عمه الشيخ عبد الله الذي اضطر إلى التوجُّه مع أسرته إلى مِنطقة الدَّمَّام، وذلك أثناء حكم الإمام فَيصل بن تركي آل سعود إمام الدولة السعودية الثانية، وبعد سنة مِن وصوله توفي – رحمه الله تعالى (الشيباني 53–54).

وفي شهر مايو من عام 1843م وصل عيسى بن حمد بن طَرِيف شيخُ قبيلة البنعلي مع أسرته إلى قطر قادمًا من البحرين بعد انتصار محمد آل خليفة على نسيبهم عبد الله آل خليفة، واستقروا في الدوحة، وبعد وُصول ابن طريف إلى قطر وثَّق عَلاقته ببعض القبائل القطرية، وكذلك مع المقيم السياسيّ البريطانيّ في الخليج السيد هنيل Samuel Hennell؛ وذلك لأجل استعادة الحكم في الْبَحْرين لأبناء الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة (إبراهيم 52).

1.2. واقعة أم سوية

في عام 1846م قَدِم أبناء الشيخ عبد الله آل خليفة من الدمام إلى قطر؛ للسلام على خالهم عيسى بن طريف البنعلي، وشكوا له ضيق الحال، وطلبوا منه أنْ يتوسط لدى الشيخ محمد بن أحمد آل خليفة؛ للسماح لهم بالعودة إلى البحرين، وأنْ يردَّ لهم أملاكَ أبيهم، وأبدوا حُسْنَ النِّيَّة في مبايعته بالحكم وبالطاعة والولاء؛ ونزولًا عند طلبهم، أرسل عيسى بن طريف مبعوثًا إلى البحرين يحمل خطابًا إلى الشيخ محمد آل خليفة شيخ البحرين، يناشدُه السماحَ لعيال عبد الله آل خليفة بالعودة وإعادة أملاكهم على أنْ يبايعوه بالحُكْم والطاعة والولاء، فردَّ الشيخ محمد آل خليفة على خِطاب عيسى بن طريف ردًا قاسيًا قائلًا له: إنَّ هذا الشأنَ ليس من اختصاصك، وعليك طرد عيال عبد الله بن أحمد مِن قطر، وقد أغضب هذا الردُ شيخ البنعلي غضبًا شديدًا، وقال لحامل الرسالة: قل لمحمد بن خليفة، ما كان له أنْ يكون شيخًا في البحرين إلا بعيسى بن طريف ومَنْ معه من القبائل، فإذا لم يَستجبْ لمطالب عيال عبد الله فلن يكون بيننا وبينه سلمٌ. وبسبب عدم استجابة شيخ البحرين لمطالب أبناء عمه الشيخ عبد الله آل خليفة وتهديد ابن طريف له بالحرب؛ أخذ كل منهما يجيش الجيوش استعدادًا للحرب.

وفي منتصف عام 1847م، وصلت قوات شيخ البحرين بالسُّفن إلى سواحل الخور ونزلت إلى البرّ، وكانت قوات عيسى بن طريف قد وصلت إلى نفس المنطقة، وبدأت المعارك بين قوات الطرفين، كانت معركة (أم سوية أو أم سويجة) هي المعركة الفاصلة التي انتصرت فيها قوات محمد بن خليفة، على قوات عيسى بن طريف الذي لقي مصرعه في هذه المعركة، وتفرقت قواتُه بعد مَقْتله، وقد عُرفت هذه الواقعة (بخراب الدَّوحة الأول)؛ لأنَّ عيسى بن طريف كان يتخذ من الدَّوحة مقرًا لإقامته فكأنها خَرِبت بمقتله (المنصور 37–38؛ خالد آل ثاني 129–131).

3. معركة مسيمير واتفاقية الصلح بين قطر والسعودية عام 1851م

بعد مقتل عيسى بن طريف البنعلي في معركة أم سوية عام 1847، كما ذكرنا آنفًا عادت قبيلة البنعلي إلى البحرين بأمر من شيخ البحرين، وفي هذا العام 1847، قَدِم الشيخ محمد بن ثاني وأسرته من منطقة فويرط إلى الدوحة واتَّخذ من مِنطقة البدع الواقعة في ضواحي مدينة الدوحة مقرًّا لإقامته، وفي أوائل عام 1851م تعرَّضت قطر لغزو من إمام الدولة السعودية الثانية فيصل بن تركي آل سعود، فتصدت القبائل القطرية للغزو بقيادة الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، وكان البيرق يحمله (عبد) من عبيد الشيخ محمد بن ثاني واسمه سعود، وكانت القوات القطرية تسير خلفه وهي تنشد:

لا مشـــى بـــيرق تميـــم كلنـــا نمـــشي وراه
جمعنـــا عـــوق الخصيـــم لـــو كثـــر نقطـــع لظـــاه

وبفضل من الله وعونه انتصرت القوات القطرية بعد أنْ قام الشيخ قاسم بن محمد بقتل قائد القوات السعودية مساعد العتيبي برمية رمح، وكان العتيبي قد قتل أحدَ أقارب الشيخ قاسم وهو سالم بن فرهود المعاضيد، فحمل عليه الشيخ قاسم، وتمكَّن من قتله، وبهذه المناسبة ألقى الشيخ قاسم قصيدة جاء فيها:

حميناك من دولات الإمام فيصل	جموع يقديها طري الفعايل
نطحنا السبايا يوم كرت ورودها	والشيخ في متناه جمعه يخايل
نطحنا السبايا بالسبايا ودبرت	ودم العتيبي فوق رمحي وشايل

وقد عُرفت هذه الواقعة الحربية بواقعة (مسيمير)، اضطرت القوات السعودية إثر هزيمتها إلى الانسحاب من الأراضي القطرية عائدةً إلى الرياض.

ويذكر (المنصور) أنَّ من أسباب غزو فيصل بن تركي لقطر سنة 1851م، كانت استجابةً لأبناء عبد الله بن أحمد آل خليفة؛ للانتقام من محمد بن خليفة الذي انتزع الحكم من والدهم، وقتل خالهم عيسى بن طريف في معركة أم السوية بالقرب من خور حسان بقطر سنة 1847م.

وقد أبرزت معركة مسيمير سنة 1851، شخصية الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني لأول مرة؛ لما أظهره فيها من الشجاعة والإِقْدام دفاعًا عن وطنه وشعبه، وجاء هذا مع بُروز شخصية والده الشيخ محمد بن ثاني الذي أصبح مُنذُ ذلك التاريخ حاكمًا للبلاد (الصراف 65؛ خالد آل ثاني 132–135؛ إبراهيم 105–106؛ الشيباني 59).

ومع أنَّ قطر انتصرت على القوات السعودية في معركة مسيمير، إلا أنَّ القيادة السياسية لدولة قطر ممثلة بالشيخ محمد بن ثاني وولي عهده الشيخ قاسم بن محمد فضَّلا عقد صلح مع إمام الدولة السعودية الثانية فَيصل بن تركي، وإحلال السِّلْم بين البلدين بدلًا من العداء، وبعث الشيخ محمد برسالة إلى فيصل يعرض عليه الصلحَ وقد جاء الردُّ من فَيصل بالموافقة، ووصل إمام الدولة السعودية إلى منطقة سلوى الحدودية بين البلدين في نهاية عام 1851م ووقع الطرفان اتفاقية صلح بين البلدين، لكنَّ هذا الصلح بين قطر والسعودية أغضب شيخ البحرين محمد آل خليفة، واتَّهم الشيخ محمد بن ثاني بأنَّ الاتفاقية التي وقعها مع إمام الدولة السعودية تستهدف البحرين؛ لذلك قرر مهاجمة قطر للانتقام من شيخ البلاد الشيخ محمد بن ثاني، وقام في سنة 1853م بتنفيذ تهديده؛ حيث قامت قواته بالهجوم على قطر، فتصدت لها القوات القطرية وقوات الإمام فيصل بن تركي، وجَرَت مواجهةٌ عسكرية بين الجانبين سقط خلالها عددٌ من المقاتلين من كلا الطرفين، كان من بين الْقَتْلى من القوات البحرينية الشيخ مبارك بن عبد الله آل خليفة وأخوه راشد بن عبد الله آل خليفة، وانتهت المواجهة العسكرية لصالح الشيخ محمد بن ثاني شيخ قطر، فاضطر على إثرها شيخ البحرين محمد آل خليفة إلى توقيع اتفاقية صلح مع الإمام فيصل في العام نفسه 1853م، إلا أنه ظل يتحين الفُرص للهُجوم على الدَّوحة؛ للانتقام من الشيخ محمد بن ثاني شيخ قطر الذي وقَّع اتفاقية صُلح مع السعودية دون التنسيق معه، فأُرغم هو على توقيع اتفاقية مماثلة مع إمام الدولة السعودية (خالد آل ثاني 29؛ المنصور 38–39؛ العناني 532؛ سعود آل ثاني 135).

4. حكم الشيخ محمد بن ثاني لقطر في الفترة بين 1866–1878م

الشيخ محمد بن ثاني بن محمد المعاضيد، وُلد في مِنطقة فويرط الواقعة في الرُّكْن الشماليّ الشرقيّ من شِبه جزيرة قطر في سنة 1800م، وبعد وفاة والده الشيخ ثاني بن محمد رحمه الله تعالى تزعَّم قبيلته المعاضيد، وقد رُزق الشيخ محمد بن ثاني بعدد من الأبناء، كان عدد الأبناء من الذكور ستة وهم: قاسم بن محمد آل ثاني (مؤسس قطر الحديثة)، أحمد بن محمد، فهد بن محمد، عيد بن محمد، جبر بن محمد، ثامر بن محمد آل ثاني. وقد عُرف الشيخ محمد بن ثاني، بتقواه واستقامته، ووصفه الرحالة الإنجليزي وليم بلجريف William Palgrave الذي التقى به أثناء زيارته لقطر في سنة 1863م، بقوله: إنه رجلٌ يتمتع برجاحة العقل والحكمة والتواضع، وإنَّ الشيخ محمد كان أديبًا وشاعرًا وعلى قدر من المعرفة بالطب، وكان محافظًا على الصلاة في المسجد، وإنه كان مساومًا بارعًا في البيع والشراء، وكان من كِبار تُجَّار اللؤلؤ، وسياسيًّا حكيمًا في تعامُله مع شعبه، وعَمِل على توثيق عَلاقات بلاده مع السعودية التي وقَّع معها معاهدة صلح، وتحالُف بعد معركة مسيمير سنة 1851م، وانتهج سياسة حكيمة تقوم على كسب ودِّ كل مِن بريطانيا والدولة العثمانية؛ لمنعهما من التَّدخُل في شؤون بلاده الداخلية، كذلك استطاع الشيخ محمد بن ثاني مُنْذُ قُدُومه إلى الدوحة في سنة 1847م، كَسْبَ محبة المواطنين وولائهم له؛ لكرمه وأخلاقه الطيبة مع الجميع، وكذلك التخلُّص مِن نُفُوذ آل خليفة وأنْ يُؤسس حُكم آل ثاني وإبراز هُويَّة الدولة القطرية المستقلة (سنان 70–71؛ الشيباني 68).

ونظرًا للصفات الحميدة التي تميَّز بها الشيخ محمد بن ثاني تم انتخابه – رسميًّا – حاكمًا للبلاد في سنة 1866م من قِبَل أُسرة آل ثاني ومن زعماء القبائل وأعيان البلاد، وهو بذلك يكون عند تولِّيه الحُكْم – رسميًا – قد تجاوز عمرُه 66 عامًا. وكان ابنه الكبير الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الساعد الأيمن لوالده في إدارة شؤون الحُكم والرَّعِيَّة (سعود ال آل ثاني 34–37؛ إبراهيم 95؛ الصراف 66).

ويُرجع بعضُ المؤرخين إلى أنَّ وصول آل ثاني إلى السلطة بدأ منذ استقرارهم في مدينة الزبارة، واشتغالهم بتجارة اللؤلؤ التي درَّت عليهم أموالًا طائلة، وكان الشيخ ثاني بن محمد بن ثامر جَد الأسرة من كِبار تُجَّار اللؤلؤ المشهورين، فقد كان لديه عددٌ من السُّفن، ويعمل تحت يديه عددٌ من الأفراد في الغوص واستخراج اللؤلؤ، كذلك كان الشيخ محمد بن ثاني والشيخ قاسم بن محمد وعددٌ من أسرة آل ثاني يعملون بهذه التجارة الرابحة. وعن أهمية التجارة في عهد الشيخ محمد بن ثاني في مجال الدَّخْل المالي يقول بلجريف الذي زار قطر سنة 1863م: إنَّ قُوة قَطر تكمُن في ثروتها البحرية الوفيرة المحيطة بها، والتي تُعدُّ مَخزنًا لا يَنضُب من الثراء، وبسبب كرم الشيخ محمد مع الأهالي من خِلال مساعدته، كسب محبتهم فبايعوه بالحكم والطاعة والولاء، وشَهِدت قطر في عهده ازدهارًا اقتصاديًّا وتطوُّرًا مِعْماريًّا. وكان مما ذكره بلجريف عن قطر، أنَّ مُدن قطر كانت كلُّها مُسوَّرة بعِناية، ولها بوابات تعلوها الأبراج، وهُناك عددٌ من القِلاع الحربية ذات نوافذ صغيرة ضيقة؛ لمراقبة أية محاولة مُعادية تستهدف البلاد (الدباغ 177؛ الشملان 579؛ إبراهيم 106–116؛ المنصور 24).

5. خراب الدوحة الثاني 1867 م

في أوائل عام 1853م، تمَّ الاتفاق بين شيخ البحرين محمد بن خليفة وشيخ أبو ظبي سعيد بن طحنون الفلاحي، على غزو الدوحة، ومهدا لهذا الغزو بحصار المدينة، فقد منعا اقتراب أي سفينة تجارية من ميناء الدوحة؛ ولكنَّ نظرًا لاستعداد الشيخ محمد بن ثاني بحشده للقبائل؛ للدفاع عن الدوحة ووقوف الإمام فيصل بن تركي إلى جانب قطر

اضطُّرا إلى فك الحصار، ولكنَّ شيخ البحرين وحليفه شيخ أبوظبي أخذا يجيشان الجيوش للهجوم على الدوحة بعد أنْ وقَّع شيخ البحرين اتفاقية صلح مع إمام الدولة السعودية الثانية، واطمأنَّا إلى عدم وقوف إمام الدولة السعودية إلى جانب قطر عند غزوهما مدينة الدوحة، فقام شيخ البحرين في عام 1854، بتعيين ابنه أحمد بن محمد آل خليفة عاملًا على قطر، ومع أنَّ هذا الوالي تزوج إحدى بنات الشيخ محمد بن ثاني إلا أنَّ بعض المؤرخين وصفوه بأنه كان سَيِءَ الخُلُق في تعامُله مع المواطنين، الأمرُ الذي أدَّى إلى نفور أهل البلاد منه و كرههم له، وبعث الشيخ محمد بن ثاني إلى محمد بن خليفة شيخ البحرين بكِتاب يشكو فيه سوء معاملة أحمد بن محمد آل خليفة مع المواطنين، فأصدر محمد بن خليفه لابنه أمرًا بأنْ ينقل مقرّ إقامته من الدَّوحة إلى مدينة الوكرة جنوب البلاد، ومع أنَّ الوالي نقل مقرّ إقامته إلى منطقة الوكرة إلا أنه ظل يحمل الحقد على أهل الدَّوحة، ويحرِّضُ شيخَ البحرين على مُهَاجمة المدينة بدعوى تمرُّدهم على حُكم آل خليفة (خالد آل ثاني 30–31).

1.5. واقعة الوكرة سنة 1866م

كان يُقام كلَ خميسٍ من كُلّ أسبوع سوقٌ شعبي في مدينة الوكرة، ويُباع في هذا السوق كلُّ شيءٍ من المواد الغذائية والملابس وأدوات المطبخ، وغير ذلك من المنتجات والبضائع بما في ذلك بيع الطيور والحيوانات.

وفي أحد الأسابيع قَدِم عددٌ من أَفْراد قبيلة النعيم إلى هذا السوق لبيع خيولهم، فقام عبيد أحمد بن محمد آل خليفة، بنهب الخيول وبضرب أصحابها ضربًا مُبرِحًا، فتوجَّه رئيسُ قبيلة النعيم علي بن ثامر الجفالي النعيمي إلى مقرّ عامل آل خليفة أحمد بن محمد؛ لتقديم شكوى ضِدَّ الأشخاص الذين نهبوا خيولهم وضربوهم طالبًا منه إعادة خيولهم المنهوبة، واتخاذ ما يراه مُناسبًا ضِدَّ الأشخاص الذين قاموا بذلك، لكن عامل آل خليفة بدلًا من إنصاف رئيس قبيلة النعيم أمر حرسَه بحبسه في القلعة التي يُقيم فيها بمدينة الوكرة.

وإزاءَ ذلك توجَّه عددٌ من أعيان قبيلة النعيم إلى الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني طالبين منه تخليص رئيس القبيلة ومَن معه من سجن أحمد آل خليفة؛ ونظرًا لما عُرف به الشيخ قاسم من الشهامة والشجاعة لبَّى طلب قبيلة النعيم، وتوجه إلى الوكرة على رأس قوة من رجاله البواسل، وعند وصوله إلى هناك حاول رجال عامل الوكرة التصدي لقوات الشيخ قاسم، لكنهم انهزموا، وسقط عدد منهم بين قتيل وجريح، فلما علم أحمد بن محمد آل خليفة بهزيمة قواته توجه إلى ميناء الوكرة وهرب مع أسرته بالسفينة إلى منطقة الخوير شمال قطر، أمَّا الشيخ قاسم فقد قام بكسر قُفْل باب سجن القلعة، وأخرج علي بن ثامر الجفالي النعيمي ومَن معه مِن أبناء البلاد، وأعاد الأموال المنهوبة التي كانت بالقلعة كالخيول وغيرها إلى أصحابها، وبعد هذه الواقعة قرَّر الشيخ قاسم وضع حدٍّ لآل خليفة بعدم التدخُل في شُؤون قطر، وإعلان بلاده كِيانًا مستقلًا، وعلى إثر هذا القرار القطري، قرر شيخ البحرين الانتقام من ولي عهد قطر الشيخ قاسم بتدبير خُطَّة تهدف إلى إذلاله، فوجَّه له دعوة لزيارة المنامة؛ لبحث العَلاقات الأخويَّة بينهما، ومن مُنْطلق الحرص على إصلاح ذات البين لبى الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الدعوة، وتوجه بسفينته إلى المنامة، ولكن – بصورة غير متوقعة – ما إن وصل الشيخ قاسم إلى قصر شيخ البحرين حتى قام حرس القصر بالقبض عليه، وأدخلوه السجن (الشيباني 75–78؛ سعود آل ثاني 137–140). وقد مهَّد شيخ البحرين للقبض على الشيخ قاسم، بتوجيه الدعوة لرئيس قبيلة النعيم لزيارته، وتوجَّه شيخ النعيم راشد بن جبر ومعه عددٌ من أفراد القبيلة، كان منهم عليُّ بن ثامر

الجفالي النعيمي إلى البحرين؛ تلبيةً للدعوة، وأثناء المقابلة أعرب لهم الشيخ محمد آل خليفة عن عدم رِضاه لتصرف أحمد بن محمد الطائش، وقدَّم لهم كرم الضِّيَافة والهدايا الثمينة، وبعد ثلاثة أشهر عادوا إلى قطر، وقابلوا الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، وتحدثوا معه عن زيارتهم لشيخ البحرين وأكَّدوا له أنَّ محمد بن خليفة لا يُضْمر السوء لقطر أو لكم شخصيًّا، وبعد عودة شيخ النعيم والوفد المرافق له من البحرين تلقى الشيخ قاسم دعوة من شيخ البحرين، لزيارته؛ لبحث العَلاقات الأخويَّة بين البلدين، وقد لبى الشيخ قاسم الدعوة، وتوجه إلى المنامة عاصمة البحرين، ولكن ألقى القبض عليه عند وصوله مع الوفد المرافق له إلى مجلس الشيخ محمد بن خليفة، وأدخله السجن ناقضًا بذلك العهد والميثاق الذي أعطاه للشيخ قاسم بن محمد آل ثاني بعدم الإساءة لشخصه (الشيباني 79–81).

السؤال هل كان شيخ قبيلة النعيم متواطئًا مع شيخ البحرين، أم أنه كان مخدوعًا به، وأنه لا يعلم بنواياه العُدْوانية للشيخ قاسم؟ هذا ما لا نستطيع الإجابة عنه لعدم وجود مادة مكتوبة لدينا.

وعندما علم الشيخ محمد بن ثاني والشعب القطري بسجن الشيخ قاسم غضبوا غضبًا شديدًا؛ لأنَّ هذا التصرُّف ليس من العادات والتقاليد العربية حتى لو كانت مع الأعداء، ومن هذا المنطلق قرَّر شيخُ قطر اتخاذ كافة الوسائل المؤدية إلى فك أَسْر ابنه والوفد المرافق مهما كلفه الأمر.

كذلك عندما علمت والدته الشيخة نورة بنت فهد بوعفرة آل بوكوارة بسجن شيخ البحرين لولدها غدرًا، دخلت على شيخ البحرين محمد بن أحمد آل خليفة وعاتبته على سوء صنيعه بسجن ولدها غدرًا، ثم دعت عليه في حضرته أنْ يضع الله في رجليه الحديد، كما وضعه في رجلي ابنها، ومرَّت الأيام واستجاب الله دعاءها، فقد عُزل محمد آل خليفة عن الحُكْم ووُضع في القيد (الشيباني 81–83).

وكتب الشيخ قاسم قصيدة عبَّر فيها عن غدر شيخ البحرين الذي أدخله السجن، فيقول:

وجتنا فرامين على ذا مختومة	بمواثيق وآيات من الله نزايل
فركبنا على ماشورة سحبها الهوا	وجينا إلى الشيخ المسمى نسايل
وقلطنا وسلمنا علّى كاسب الثنا	وجلسنا ودارنا الفكر كيف قايل

وفي العام نفسه الذي كان فيه الشيخ قاسم في السجن في أواخر عام 1866م، كان شيخ البحرين يُعُدُّ جيشه لغزو الدوحة بالتحالف مع شيخ أبو ظبي بهدف إخضاع قطر لحكمه (بن دخنة التميمي 197–198).

وفي شهر أكتوبر من عام 1867م، كلَّف شيخ البحرين محمد بن خليفة إبراهيمَ بن علي آل خليفة وأخاه عيسى بن علي بقيادة الجيش البحريني المدعوم بقوات من أبو ظبي بقيادة زايد بن خليفة الفلاحي للهجوم على مدينة الدوحة ومدينة الوكرة، وقد بلغ عددُ القوات المشتركة نحو ثلاثة آلاف مقاتل نقلتهم 100 سفينة، والتقت القوات المشتركة بالقُرب من رأس لفان في منتصف شهر رمضان 1283 للهجرة / أكتوبر1867م. وكان الشيخ محمد بن ثاني قد أعدَّ جيشًا من القبائل القطرية للدفاع عن البلاد، ولكن قبل المواجهة المسلحة بين القوات القطرية وقوات التحالف تَذْكُرُ بعضُ المصادر أنه جرى اتصالٌ بين قائد قوات التحالف إبراهيم بن علي آل خليفة وبين الشيخ محمد بن ثاني، تعهَّد إبراهيم بن علي آل خليفة لشيخ قطر بأنهم لن يقوموا بأيِّ عُدوان على الدَّوحة أو غيرها، وأنَّ هدفهم هو إرضاء الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة الذي أقسم بالطلاق على زوجاته الأربع إنْ لم يطأ أرض الدوحة بجيشه

كما وطئ الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني بجيشه مدينة الوكرة، فقام الشيخ محمد بن ثاني بإعادة قواته إلى معسكراتها. ولكن اتَّضح أنَّ تلك الوُعود كانت خُدعةً؛ حيث قامت القوات المتحالفة بدخول مدينة الدَّوحة، وقامت بقتل كل مَن حاول التصدِّي لها، ونهبت وسلبت كل ما استطاعت نهبَه وسلبه بما في ذلك الاستيلاء على ستة خُيول ملك الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، كما قامت القوات المشتركة بمهاجمة منطقة الوكرة وقامت بما قامت به في الدوحة من قتل ونهب وسلب، ولم يسلم بيت أو محل تجاري في مدينة الدوحة والوكرة من النهب والسلب والتدمير، واضطر عدد من المواطنين إلى الهروب من البلاد بالسُّفن إلى الدول المجاورة؛ حفاظًا على أرواحهم (الشيباني 79–85).

وفي الواقع أنَّا لا أتفق مع الشيباني، في أنَّ قائد قوات العُدوان خدع الشيخ محمد بن ثاني بوعوده بعدم مهاجمة الدوحة، وأنه سرَّح قواته وَفقًا لتلك الوعود، ولكني أتفق مع الروايات القائلة: إنَّ العُدوان الذي تعرضت له قطر من قِبل البحرين وأبو ظبي كان مفاجئًا وفي منتصف الليل، ولم يكن متوقعًا، ونستشهد بما ذكره (النبهاني)؛ حيث يقول: كان العُدوان الذي تعرَّضت له قطر في سنة 1867م، من جانب قوات شيخ البحرين وشيخ أبوظبي، على حِين غفلة مِن الشيخ محمد بن ثاني والشعب القطري؛ ولذلك كانت الخسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، أمَّا سلدانا Sildana، فيقول: قامت القوات المشتركة البحرينية والظبيانية بقتل المواطنين وتشريدهم وسلب الممتلكات ونهبها، بل وصل الحال بالمهاجمين إلى اقتلاع العوارض الخشبية من أَسْطُح المنازل وخلع الأبواب، وأرغموا بعض المواطنين على الهِجْرة من البلاد واللجوء إلى السواحل: العربية والفارسية، وحسب تعبير لوريمر J.G.Lorimer إنَّ المعتدين عملوا على إزالة مدينة الدوحة ومدينة الوكرة بشكل شبه كامل. وقدَّر لوريمر الخسائر المادية بنحو مائتي ألف روبية، في حِين نجد بعضَ المصار تُقدِّر الخسائر المادية أكثر بكثير مما قدَّره لوريمر، فقد قدَّرها المقيم السياسي البريطاني في مِنطقة الخليج لويس بيلي Lewis Pelly من الناحية المادِّية بمليون ومائتي ألف ريال نمساوي، هذا فضلًا عن المنقولات من الذهب والفضة واللؤلؤ وغيرها من الأموال والخُيول العربية الأصيلة وأكثر من 150 سفينة وقاربًا، وقد عُرفت هذه الواقعة (بخراب الدَّوحة الثاني؛ لوريمر 1215–1216؛ الدباغ 176؛ إبراهيم 123–126).

2.5. الهجوم القطري على البحرين سنة 1868 م

كان لِسَجْن الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني ولي عهد دولة قطر في سجن شيخ البحرين بطريقة الخُدعة عام 1866م، وقيام شيخ البحرين محمد بن خليفة، وحليفه شيخ أبوظبي سعيد بن طحنون الفلاحي، بالعُدوان المسلح على قطر في أكتوبر1867م، ذلك العدوان الذي أدَّى إلى تدمير مدينتي الدوحة والوكرة أثرٌ كبير، وكان من الصعب على شيخ قطر محمد بن ثاني والشعب القطري السكوت على ذلك؛ لهذا كان لا بدَّ من الرد على العُدوان وتحديدًا على شيخ البحرين الذي كان يتحرش بقطر، ويحاول كسب تأييد إمام الدولة السعودية وشيخ أبوظبي؛ لتحقيق أهدافه العُدوانية ضِدَّ قطر، فقام الشيخ محمد بن ثاني بحشد الرجال المقاتلين وزودهم بالسلاح والذخيرة والمؤن الغذائية والمياه، وأَعَدَّ السُّفن لنقلهم إلى جُزر البحرين، وكان عددُها ستين سفينة، وتوجهت القوات القطرية التي قُدر عددُ أفرادها بنحو ألف ومائتي رجل للهجوم على البحرين في شهر مايو عام 1868م، وهم يرتجزون:

حـــرامٌ عليـــك الصلـــحُ منـــا مـــــادام قاســـــمٌ في الحديـــــد
لابـــــدَّ مـــــا نـــــرد ســـــفنا الســـــيف مصقـــــول الحديـــــد

(العابد 138–139)

وكانت معركة (دامسة) القريبة من جزيرة المحرق بالبحرين مِن أهمِّ المواقع التي جَرَت بين القوات القطرية والبحرينية، قُتل خِلالها من قوات الطرفين أكثرُ من ألف رجل، انتهت المعارك لصالح البحرين؛ لأنهم كانوا أكثر عددًا وعُدَّة من القوات القطرية؛ لذلك اضطرت القوات القطرية إلى الانسحاب من جُزر البحرين عائدة إلى قطر وبالذات إلى منطقة الوكرة جنوب شرق قطر. ومع أنَّ القوات القطرية انسحبت، لكن شيخ البحرين أصرَّ على تَتَبُّع القوات إلى الوكرة. وفي ساحل الوكرة جَرَت معركة شرسة بين الطرفين أسفرت عن انتصار القوات القطرية، وكانت نتيجةُ معركة الوكرة قتلَ عدد كبير وإصابة آخرين من القوات البحرينية، وأسر آخرين، وكان من بين الأسرى إبراهيم بن علي آل خليفة وأخوه عيسى بن علي، وهرب قائد القوات البحرينية علي بن خليفة بالسفينة عائدا إلى البحرين. وقد تمت مبادلة أسرى آل خليفة بالشيخ قاسم بن محمد آل ثاني المسجون في البحرين والوفد المرافق له، وبذلك عاد الشيخ قاسم إلى بلاده عودة الأبطال، وكسب محبة وولاء أبناء قطر كافَّة، وأقبلت جُمُوع المواطنين تبايعه بالحكم وبالسمع والطاعة، لكن البَيْعة الشرعية له كانت بعد وفاة والده الشيخ محمد بن ثاني سنة 1878م رحمهم الله جميعا (الخصوصي 36–37؛ ن. آل ثاني 146).

وبمناسبة انتصار قطر على البحرين في معركة الوكرة سنة 1868م، يقول أحد شعراء قطر:

يـا الله يـا لـلي في السـماء موجـود　　يـا خالـق الكـون يـا رحمـن
ربي إلهـي خالقـي المعبـود　　وإن جابتـك طلبـت ولـد عدنـان

ثم يقول:

ديـن لنـا في دامسـة مـردود　　يـوم الجبـل خذنـاه م الديّـان
شـيخين منهـم عندنـا فقيـود　　في شـيخنا يـا رجحـت الميـزان

وبعد معركة الوكرة في عام 1868م، التي انتصرت فيها القوات القطرية، انسحبت القوات البحرينية من قطر عائدةً إلى البحرين، وساد السلم بين البلدين إلى حدٍ كبير خاصّةً بعد أنْ تدخلت بريطانيا لدى الطرفين؛ للحفاظ على أمن وسلامة المنطقة (التاجر 138؛ سعود آل ثاني 148–149؛ العابد 140–142؛ الشيباني 99–100).

3.5. الموقف البريطاني من العدوان على قطر سنة 1867م

اعتبر المقيم السياسي البريطاني في منطقة الخليج العربي الكولونيل لويس بيلي، غزو شيخ البحرين محمد بن أحمد آل خليفة بالتعاون مع شيخ أبو ظبي سعيد بن طحنون الفلاحي، قطر في سنة 1867م مخالفة للمعاهدة التي وقعتها بريطانيا معهما سنة 1861م. وفي تاريخ 7 ديسمبر 1867م، بعث المقيم بتقرير عن العُدوان المشترك على قطر إلى الحكومة البريطانية جاء فيه: إنَّ شيخي البحرين وأبو ظبي شنَّا هُجُومًا على قطر في أكتوبر الماضي، وإنَّ العُدوان أسفر عن خسائرَ بشريةٍ وماديةٍ كبيرةٍ، وإلى تشريد بعض القطريين من بلادهم. وكان يجب قبل قيامهما بالعدوان أنْ يراجعانا لأخذ الرأي قبل أنْ يخرقا السِّلْم البحري الذي تعهدا بالمحافظة عليه، وحذَّر حكومته من أنَّ إفلات شيخ البحرين وشيخ أبو ظبي من العقاب الرادع سيشجع بقية شيوخ المنطقة على التخلي عن التعهدات التي سَبَق لهم أنَّ أبرموها مع الحكومة البريطانية. وفي 17 يناير 1868م، تلقى المقيم البريطاني في الخليج ردًا من حكومته بتخويله حق

اتخاذ ما يراه مناسبًا بحق شيخ البحرين وشيخ أبو ظبي (I.O.R./15/1/12؛ العابد 140–142؛ الشيباني 99–100؛ إبراهيم 138–139). وعلى ضوء ذلك أرسل المقيم البريطاني رسائل إلى شيخ البحرين وإلى شيخ أبو ظبي في نهاية يناير، يطلب منهما تفسيرًا لِما قاما به من أعمال مسلحة ضِدَّ قطر التي تُعدُّ مُخِلَّة بالسلام البحري في منطقة الخليج، وتسلَّم المقيم ردًا من الشيخ محمد آل خليفة، قائلًا إنه كان يتطلع إلى فرض سلطته على قطر، أمَّا شيخ أبو ظبي فقد تملَّص من الردِّ على المقيم؛ لأنه لم يَجِدْ المبرر المقنع لاشتراكه في العدوان على قطر.

وفي الأول من سبتمبر توجَّه المقيم إلى البحرين وكان أول قرار اتخذه هو عزل محمد آل خليفه وتعيين شقيقه الشيخ علي بن أحمد آل خليفة بدلًا منه، وكان الشيخ محمد آل خليفة قد غادر البحرين إلى السعودية، وذلك قبل وصول المقيم البريطاني إلى المنامة خوفا مما قد يتعرض له من عقاب على يده.

وفي السادس من سبتمبر 1868م وقَّع المقيم البريطاني في الخليج الكولونيل بيلي، معاهدة جديدة مع شيخ البحرين الجديد، تتلخص بنودها في الآتي:

1. أنْ يقوم شيخ البحرين علي آل خليفة، بتسليم السَّفن التي يمتلكها آل خليفة للقوات البريطانية.
2. دفع مئة ألف ريال نمساوي تعويضًا لقطر عن خسائرها من جَرَّاء العُدوان البحريني عليها.
3. تسليم محمد بن خليفة الهارب إلى المقيم البريطاني في حالة عودته إلى البحرين.
4. يُعدُّ الشيخ علي آل خليفة من القراصنة إذا أخلَّ بتعهداته.
5. أنْ يتعهد الشيخ علي آل خليفة بعدم القيام بأي عُدوان على الجيران بدون إذنٍ من المقيم البريطاني في الخليج.
6. أنْ يقوم شيخ البحرين بتعيين وكيل دائم له في بوشهر مقرّ المقيم؛ لتلقي التعليمات منه في أي أمر ما.

وقد قام شيخ البحرين بتسليم السُّفن التي لديهم للمقيم البريطاني الذي أمر قواته بإحراقها، وكذلك بتدمير القلعة العسكرية في المحرق (قلعة أبو ماهر؛ المنصور 44–46؛ إبراهيم 145–146).

وبعد زيارة المقيم للبحرين وقيامه بالإجراءات اللازمة ضِدَّ حكومة البحرين، توجَّه إلى أبو ظبي، وقابل شيخها سعيد بن طحنون الفلاحي، ووقع معه اتفاقية جديدة تضمنت ما يلي:

1. يتعهد الشيخ بعدم القيام بأي عدوان على جيرانه مستقبلًا.
2. يعتذر لبريطانيا عن نقضه لمعاهدة 31مايو لعام 1861م، بمشاركته في العدوان على قطر.
3. يتعهد بأنْ يتحمَّل تَبِعات ما قد يقوم به رعاياه من مخالفات في البرّ أو البحر.
4. يتعهد بإطلاق سراح الأسرى القطريين وتسهيل مهمة عودتهم إلى بلادهم.
5. يلتزم بدفع 125 ألف روبية تعويضًا لقطر وإعادة ما تم نهبه وسلبه من قطر، بما في ذلك الخيول التي استولى عليها من ملك شيخ قطر وشيوخ آل ثاني (إبراهيم 147–149).

6. معاهدة 1868م القطرية – البريطانية

وفي 12 سبتمبر 1868م، وصل المقيم السياسي البريطاني الكولونيل لويس بيلي إلى ميناء الوكرة بالسفينة الحربية؛ لإجراء مباحثات مع الشيخ محمد بن ثاني حاكم قطر، وكان الشيخ محمد بن ثاني وعدد من الشيوخ وأعيان البلاد في استقبال المسؤول البريطاني في رصيف الميناء، وبعد أن تناول الجميع وجبة الغداء التي أقيمت على شرف الضيف وتناول القهوة العربية، جرت مباحثات ودِّية بين الطرفين تناولت سُبُلَ تقوية العَلاقات بين قطر والمملكة المتحدة بريطانيا العظمى، وفي بداية الحديث أعرب المسؤول الإنجليزي عن استياء حكومته مما قام به كلٌّ من شيخ البحرين وشيخ أبو ظبي من عُدوان مسلح وما نتج عنه من خسائرَ في الأرواح والممتلكات، وأرجع عدم تمكُّن القوات البحرية البريطانية في الخليج من منع العُدوان إلى السرِّيَّة والسرعة من قِبل شيخي البحرين وأبوظبي مستغلين في ذلك انشغال الأسطول الحربيّ البريطانيّ في حربه في القرن الإفريقي ولا سيما مع إثيوبيا.

وقدم المقيم البريطاني للشيخ محمد بن ثاني، تقريرًا عن الإجراء ت العِقابية التي اتخذها ضِدَّ البحرين وأبو ظبي، وتعهَّد لشيخ قطر بأنه لن يسمح بتكْرار مثل هذا العدوان على قطر مرةً أُخرى (الحسيني 52–53؛ الصراف 87–92؛ العابد 145).

وفي نهاية اللقاء تم التوقيع بين الطرفين على معاهدة السِّلْم الدائم في الخليج والتي تضمنت خمس مواد، تعهَّد الشيخ محمد بن ثاني بموجب هذه المعاهدة نيابةً عن نفسه وأسرة آل ثاني والقبائل القطرية بالإقامة الدائمة في الدوحة والمحافظة على السلام البحري، ومراجعة المقيم السياسيّ البريطانيّ في الأمور المخلة بالأمن، وكذلك القيام بمحاربة تجارة الرقيق، وتجارة السلاح والقرصنة البحرية.

ومن جانب آخر، اعترفت بريطانيا بمُوجب المعاهدة باستقلال قطر وسيادتها المطلقة تحت حكم آل ثاني حكمًا وراثيًا، وتعهدت بالمحافظة على سلامتها واستقلالها ضِدَّ أي عُدوان قد تتعرض له من جانب جيرانها. وُقِعت المعاهدة في اليوم الذي وصل فيه المقيم السياسيّ البريطاني في الخليج إلى قطر في 12 سبتمبر 1868م، وقعها الشيخ محمد بن ثاني شيخ قطر بختمه وتوقيعه، ووقَّع المقيم البريطاني في الخليج لويس بيلي، نيابةً عن حكومة بلاده المملكة المتحدة – بريطانيا العظمى (I.O.R./15/2/26).

ومع أنَّ هذه المعاهدة أدخلت قطر ضمن بقية إمارات الخليج العربي الموقعة على المعاهدة، فإنَّ هُناك مَن اعتبرها مكسبًا لقطر؛ لحصولها على اعتراف باستقلالها وسيادتها المطلقة وبحكم أسرة آل ثاني حكمًا وراثيًّا، ولكنَّ هُناك مَن يؤكِّد أنَّ قطر كانت مستقلة منذ أنْ أصبح الشيخ محمد بن ثاني شيخًا لقطر منذُ منتصف القرن التاسع عشر، وليس منذُ أنْ اعترفت بريطانيا باستقلالها في معاهدة 1868م، ونجد المعتمد السياسيّ البريطانيّ في البحرين (بريدوكس Prideaux) يذكر في خِطابه الذي أرسله إلى المقيم السياسيّ البريطانيّ في الخليج (برسي كوكس Percy Cox) بتاريخ 28 يونيو 1905، والذي جاء فيه: إنه ما بين 1851–1866م، تمكَّن الشيخ محمد بن ثاني، من تأسيس حكومة مستقلة في مدينتي الدوحة والوكرة وفي غيرهما من مناطق قطر من مقره في البدع، وإنَّ اعتراف بريطانيا باستقلال قطر

وبحكم آل ثاني للبلاد بموجب معاهدة 1868 إنما هو تأكيد على استقلال قطر وسيادتها، ويمكننا القول: إنه على الرغم من نجاح بريطانيا بضم قطر إلى بقية إمارات الخليج العربي الموقعة على معاهدة السلام الدائم في الخليج، إلا إنها فشلت في تطبيع العلاقات معها أسوةً بشقيقاتها الخليجيات؛ لأنَّ الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الذي كان يدير شؤون الحكم نيابةً عن والده الذي كان قد وصل إلى مرحلة متقدمة من العمر، فضَّل توثيق عَلاقة بلاده مع الدولة العثمانية والتحالف معها انطلاقًا من ثقته بقدرتها على حماية البلاد من أي عُدوان قد تتعرض له (القحطاني 38–39؛ المنصور 46–48).

7. العلاقات القطرية-الظبيانية 1835–1878م

موضوع الخِلاف بين قطر وبين أبو ظبي بشأن منطقة خور العديد يعود إلى منتصف القرن التاسع عشر، وقد أدَّى الخلاف إلى حرب بين الطرفين تُعدُّ من أطول الحروب في التاريخ الحديث في مِنطقة الخليج العربيّ كلَّفت الطرفين خسائر بشرية وخسائر مادية، وهُناك مَن يُرجِع هذا الخلاف إلى السياسة البريطانية في المنطقة التي تقوم على سياسة «فرِّق تسد» بما يَخْدُم مصالحها الاستعمارية السياسية والاقتصادية.

1.7. لجوء قبيلة القبيسات إلى العديد

بدأ الخِلاف بين قطر وبين أبو ظبي منذُ أنْ لجأت قبيلة القبيسات الظبيانية إلى قرية خور العديد القطرية في عام 1835م؛ بسبب خلافها مع شيخ أبو ظبي خليفة بن شخبوط، ومنذُ ذلك التاريخ كانت القبيلة تتردد على المنطقة كلما حصل بينها وبين شيخ أبو ظبي خلاف، ففي عام 1837م استطاع شيخ أبو ظبي إقناع القبيلة بالعودة إلى أبو ظبي، ووعدهم بالمناصب والمنح والهبات، وعدم فرض ضرائب على نشاط الغوص على اللؤلؤ وبيعه أو على نشاطهم التجاريّ، ولكن شيخ أبو ظبي لم يفِ بوعده مع القبيلة، بل تعرَّضت القبيلة بعد عودتها للاضطهاد والتعذيب على أيدي سلطات نظام أبو ظبي، فاضطر أفراد القبيلة إلى العودة مرةً أُخرى إلى قرية خور العديد سنة 1849م، لكن القبيلة لم تستَفِد من تجاربها مع شيخ أبو ظبي؛ حيث تمكَّن الشيخ سعيد بن طحنون الفلاحي شيخ أبو ظبي من خداع القبيلة في عام 1851م بإقناع أفراد القبيلة بالعودة إلى بلادهم ووعدهم بإعطائهم حقوقهم الكاملة، وبالسماح لهم بمزاولة نشاطهم الاقتصادي بكل حرية، ولكن هذه الوعود كانت كسابقاتها، فقد قام شيخ أبو ظبي بالاستيلاء على سُفن القبيلة وفرض عليهم ضرائب باهظة على نشاطهم الاقتصادي سواء أكان في البحر أم في البر، فاضطر أفراد القبيلة إلى بيع مراكبهم ومواشيهم وحلالهم من الإبل؛ ليؤدوا ما عليهم من غرامة وضرائب حتى لا يعرضوا أنفسهم للسَجْن (المنصور 167–170) ؛ (I.O.R./15/1/18)، ولكن القبيلة اضطرت في عام 1869م إلى اللجوء للمرة الثالثة إلى قرية خور العديد الواقعة في الجنوب الشرقي لقطر؛ للإقامة فيها بموافقة الشيخ محمد بن ثاني شيخ قطر.

وإزاءَ ذلك تقدَّم شيخ أبو ظبي خليفة بن زايد الفلاحي بطلب إلى المقيم السياسي البريطاني أنْ يُعِيد قبيلة القبيسات إلى أبو ظبي سلمًا أو بقوة السلاح، لكن المقيم البريطاني رفض الاستجابة للطلب؛ لأن القبيلة ملتزمة بالهُدْنة البحريّة، ولم ترتكب أيةَ مخالفة سواء في البر أو البحر.

2.7. الهجوم البريطاني على قرية خور العديد سنة 1878م

هذا الموقف البريطاني المتزن من القبيلة تغير بعد تحالُف قطر مع الدولة العثمانية، ودخول القوات العثمانية إلى قطر في نهاية يوليو عام 1871م؛ حيث رأت بريطانيا أنه من المُحْتمَل أنْ تستغل الدولة العثمانية القبيلة؛ لزعزعة الأمن في أبو ظبي وفي القرصنة البحرية ضد سفن حلفاء بريطانيا في المنطقة من خِلال تقديمها الدعم الماليّ والسلاح، وقد جاء هذا التخوُّف البريطانيّ بعد زيارة وفد عثماني لمنطقة خور العديد واجتماعهم برئيس قبيلة القبيسات بطي بن خادم آل نهيان في شهر يونيو 1873م، وتسليمه علمًا تركيًّا لرفعه فوق قرية العديد دليلًا على خضوعهم للحماية العثمانية، وطلبوا منه دفع ضريبة على نشاطهم الاقتصادي، وبدفع الزكاة السنوية للدولة العثمانية عن طريق الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني الذي يُعدُّ بمثابة الحاكم الفعلي لقطر (المنصور 167–171).

وذكر أحد التقارير البريطانية السرية المؤرخ في 20 أغسطس 1873م أنها تلقت معلومات بأنَّ الحكومة العثمانية أرسلت قواتٍ عسكريةً إلى ساحل عُمان المتصالح، وللتأكد من ذلك توجَّه الميجور جرانت Garnet قائد القوات البحرية البريطانية بسفينة حربية إلى هناك لاستطلاع الأمر، ولكنه لم يجد أي قوات عثمانية في المنطقة. وكتب جرانت تقريرًا إلى حكومته أكَّد فيه أنه لا تُوجد أيُّ قواتٍ عثمانيّة في ساحل عمان، وأنَّ الجواسيس الذين تم إرسالهم إلى قطر؛ لتقصي الحقائق أكَّدوا أنَّ ما نُشر عن تحركات لقوات عثمانية في اتجاه ساحل عُمان لا يتعدى الشائعات، ولكن على الرغم من ذلك فإنَّ المقيم البريطاني في الخليج لم يكن مطمئنًا لنوايا الدولة العثمانية في منطقة الخليج العربي؛ حيث نجده يحذر حكومته في الخطاب المرسل في 27 أكتوبر 1873م، يقول فيه: إنَّ العلم العثماني الذي ارتفع في البدع ارتفع في الوقت نفسه في العديد، وهو ما يؤكِّد لنا أنَّ (الأتراك) العثمانيين لديهم تَطلُّع للتوسع في المنطقة وتهديد المصالح البريطانية ووجودها (I.O.R./15/1/74). وفي 16 سبتمبر 1876م، كتب المقيم البريطاني تقريرًا لحكومته يقول فيه: إنَّ القرصنة البحرية قد ازدادت في هذا العام في مياه الخليج انطلاقًا من العديد، وذلك من قبل القطريين وقبيلة القبيسات؛ لأنَّ العثمانيين لا يولون اهتمامًا باستتباب الأمن في السواحل التي يسيطرون عليها، وهو ما يجعل هذه الأماكن ملاذًا آمنا يأوي إليه القراصنة الذين يعملون على إثارة الاضطراب في أمن البحر. وأرجع المقيم البريطاني ازدياد القرصنة في مياه الخليج القريبة من العديد إلى غياب النفوذ البريطاني في هذه الأماكن، وطالب حكومته بوجوب استعادة نفوذها في هذا الجزء مرةً أُخرى، وإلا فإن إعادة الأمن والاستقرار على سواحل قطر والمياه المحيطة بها ستصبح وكرًا للقرصنة وعدم الاستقرار (I.O.R./15/1/74). وفي هذا السياق، بعث نائبُ المقيم البريطانيّ في الخليج (وليام بريدوكس William Prideaux) بتقرير إلى الحكومة البريطانية بتاريخ 3 فبراير 1877م، تضمن التقرير أسماء القبائل القطرية التي يقول: إنها لجأت إلى القرصَنة البحريَّة في مِنطقة العديد، وما سببه هؤلاء القراصنة من نهب وسلب ومن قَتل لبعض البحَّارة، وأرجع ذلك إلى ضَعْف القبضة البريطانيّة على سواحل قطر ومنطقة العديد، وتركها للأتراك الذين أصبحوا يسيطرون على قطر برًا وبحرًا، وطالب حكومته بضرورة إعادة الأمن إلى نِصابه (I.O.R./15/1/77). وهذه التقارير من المقيم البريطاني ونائبه لحكومتهما ما هي إلا مُقدِّمة لاستخدام القوة المسلحة ضِدَّ قبيلة القبيسات؛ لإرغامها على الْعَودة لحكم شيخ أبو ظبي حليف بريطانيا. وشهد عام1877، مشاورات بين المسؤولين الإنجليز تتعلق بهذا الخصوص، ولكنَّ الحكومة البريطانيّة كانت تخشى من المواجهة مع القوات العثمانية الذين يرون أنهم حُمَاةٌ لقبيلة القبيسات التي ترفع العَلَم العثماني، وتدفع الضرائب للدولة العثمانية عن طريق الشيخ

قاسم بن محمد آل ثاني اعترافًا بخضوعهم للحماية العثمانية (إبراهيم 282–288؛ المنصور 172–173)، فقد كانت القبيلة تدفع 500 ريال نمساوي سنويًّا لشيخ قطر، مقابلَ سُكْناهم في قرية العديد، ولكنَّ المقيم البريطانيّ المستر (روس E. C. Ross) أقنع حكومته بضرورة استخدام القوة ضِدَّ القُبيسات وإرغامهم على العودة إلى أبو ظبي؛ لإثبات مَقْدرة بريطانيا على أَمْن الخليج، وقبل أنْ تقوم البحريّة البريطانيّة بمهاجمة قرية خور العديد، بعث المقيم البريطاني برسالة لشيخ القبيسات بطي بن خادم في 21 أكتوبر 1877م، يدعوه إلى العَوْدة مع قبيلته إلى أبو ظبي. وفي نهاية شهر أكتوبر، تسلَّم المقيم ردَّ شيخ القبيسات، قائلاً: إنه غيرُ راغب بالعودة تحت حكم شيخ أبو ظبي، وإنه لن يتخلى عن ارتباطه بالحكومة العثمانيّة، أمَّا فيما يخص أمن البحر، فنحن حريصون دائمًا على عدم وقوع أيِّ اضطراب فيه، ففي البحر رزقُنا ونحن حريصون على أمنه، لكنَّ هذا الردَّ من طرف شيخ القبيسات اعتبره المقيم تحديًّا صريحًا للحكومة البريطانية، وسياستها القاضية بوضع حد للمد الْعُثمانيّ في الخليج العربي؛ لذلك قررت الحكومة البريطانيّة بناءً على مشورة المقيم البريطانيّ في الخليج استخدام القوة ضِدَّ القبيسات، وإجبارها على العودة إلى أبو ظبي. وفي 28 مايو من عام 1878، قامت السفن الحربيَّة البريطانيَّة بإطلاق نيران مدافعها على قرية خور العديد حتى أصبحت القرية أثرًا بعد عين (العقاد 177–179)، كذلك ترتَّب على هذا القصف المدفعي سقوطُ عددٍ من سُكان قرية خور العديد بين قتيل ومصاب، واضطَّر بقيةُ أفراد القبيلة إلى العودة إلى أبو ظبي ماعدا شيخَ القبيلة بطي بن خادم الذي طلب من الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني السماح له ولأسرته بالإقامة في قطر، ووافق له الشيخ قاسم على طلبه (لوريمر 1220–1227).

أمَّا الدَّولة العُثمانيّة فقد اكتفت بتقديم احتجاج ضِدَّ العمل العسكري الذي قامت به القوات البحريّة البريطانيّة ضِدَّ القبيسات الخاضعين للحماية العثمانية، ويرفعون العَلَم العثماني فوق قرية خور العديد، وأرسلت مذكرة الاحتجاج في 28 مايو 1878م إلى وزارة الخارجية البريطانية عن طريق السفير البريطاني في إسطنبول، ولكنَّ هذا الاحتجاج لم تُعِره الحكومة البريطانية اهتمامًا؛ حيثُ نجد وزير خارجية بريطانيا اللورد كوانبروك (Earl of Cranbrook) يعطي تعليماتِه للسفير البريطاني لدى الدولة العُثمانية أنْ يتجاهل الردَّ على احتجاج الدولة العثمانية، ولكن إذا أصرَّ الجانِبُ العثمانيّ على معرفة الردِّ البريطانيّ فعليه أنْ يقول لهم: إنْ ما قامت به القوات البحريّة البريطانيّة إنما كان لحماية المصالح البريطانية وحلفائها (الدروبي 38–41؛ إبراهيم 294–296).

وفي هذا العام تُوفي الشيخ محمد بن ثاني وخلفه في الحكم ابنُه الأكبر ووليُ عهده الشيخُ قاسم بن محمد آل ثاني.

خاتمة

وفي خِتام هذا البحث الذي خصَّصناه عن تأسيس الدَّولة القطرية في التاريخ الحديث ولا سيما في عهد الشيخ محمد بن ثاني بن محمد آل ثاني نستطيع القول: لقد تميَّزت فترةُ حكم الشيخ محمد بن ثاني بين 1866–1878م، بالكثير من التحديات والمصاعب تتمثل في الآتي:

أولًا: توحيد القبائل القطرية في نظام مركزي حديث يقوم على النظام والقانون والعدل والمساواة بين جميع أفراد الشعب القطري.

ثانيا: مواجهة الظروف الاقتصادية، من خلال تشجيع المواطنين على العمل والإنتاج سواء العمل في البحر، في الغوص بحثًا عن اللؤلؤ وبيعه أو العمل في التجارة أو في صيد السمك وبيعه، أو العمل في البر في الزراعة، وفي رعي الماشية، أو في الحرف والمهن التي تدر عليهم الأموال لمواجهة ظروف الحياة المعيشية.

ثالثا: التحديات الإقليميّة المتمثلة بمشاكل الحدود مع كلٍ مِن: البحرين، أبو ظبي، السعودية.

رابعا: وقوف القيادة السياسية القطرية من الدولتين المتنافستين بريطانيا والدولة العثمانية في منطقة الخليج العربي على مسافة واحدة مما جنب البلاد الدخول في عداوة مع أي منهما.

ولكن على الرغم من تلك التحديات والمصاعب التي واجهت الشيخ محمد بن ثاني وولي العهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني أثناء فترة تأسيس الحكم المركزي إلا إنه تمَّ بفضل حِكْمة وشَجَاعة القيادة السياسيَّة لدولة قطر التغلُّب على تلك التحديات، وذلك من خِلال اتخاذ الإجراءات المناسبة، سواء فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية أو في الحفاظ على استقلال وسيادة البلاد.

المراجع

أولًا: العربية

إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني. **قطر الحديثة: قراءة في وثائق سنوات نشأة إمارة آل ثاني**. الساقي للنشر والتوزيع، لندن، 2013م.

آل ثاني، خالد بن محمد بن غانم بن علي. **الحلي الداني في سيرة الشيخ على آل ثاني**. الدوحة، 2009م.

ـــــ. **مدونات الأسرة الحاكمة في قطر**. الدوحة، 2016م.

آل ثاني، سعود بن محمد بن حسن العبد الرحمن. **أعلام من قطر**. عمان، 2010م.

آل ثاني، ناصر بن علي بن أحمد. **لمحات من تاريخ قطر: رواية الشيخ محمد بن أحمد بن محمد آل ثاني**. دبي، 2006م.

البحيري، صلاح. **جوانب من جغرافية قطر**. الأردن، 1976م.

التاجر، محمد علي. **عقد اللال في تاريخ اوال**. مؤسسة الأيام للطباعة والصحافة والنشر، البحرين، 1994م.

التميميّ، أبي محمد ابراهيم جار الله بن دخنة. **المعاضيد وقطر: تاريخ ونسب وحضارة**. الكويت، 1999م.

التميميّ، علي عبد الرحمن أبا حسين. «**مكانة البحرين في التاريخ الإسلامي**». مجلة الوثيقة، 1993م، 44–77.

الجابر، موزة سلطان. **التطور الاقتصادي والاجتماعي في قطر 1930–1973م**. دار الشرق للطباعة، الدوحة، 2002م.

الحسينيّ، عبدالله. **قطر وثروتها النفطية**. مطابع مجلة العهد، الدوحة، 1984م.

الخصوصيّ، بدرالدين عباس. **دراسات في تاريخ الخليج العربي**. مطبعة ذات السلاسل، الكويت، 1988م.

الخليفيّ، يوسف عبدالرحمن. «**تاريخ شرق الجزيرة العربية**». مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية. اتحاد المؤرخين العرب، الدوحة، لجنة تدوين تاريخ قطر، 1976م.

الدبَّاغ، مصطفى مراد. **قطر ماضيها وحاضرها**. دار الطليعة، بيروت، 1961م.

الدروبيّ، محمد محمود. **الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني**. أروقة، الأردن، 2014م.

ذياب، محمد عبدالله. **دولة قطر–دراسة لظروف البيئة الطبيعية وعلاقاتها**. دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م.

رياض، محمد. «**مدن الخليج وتطورها ومشكلاتها المعاصرة**». حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، 1980م، 77–115.

سنان، محمود بهجت. **تاريخ قطر العام**. مطبعة المعارف، بغداد، 1966م.

الشلق، أحمد زكريا، وعقيل، مصطفى، والعبد الله، يوسف ابراهيم. **تطور قطر السياسي–من نشأة الإمارة حتى استقلال الدولة**. مطابع رينود الحديثة، الدوحة، 2006م.

الشملان، سيف مرزوق. «**الغوص عن اللؤلؤ في قطر**». مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية. اتحاد المؤرخين

العرب، الدوحة، لجنة تدوين تاريخ قطر، 1976م.

الشيباني، محمد شريف. **إمارة قطر العربية بين الماضي والحاضر**. دار الثقافة، بيروت، 1962م.

الصراف، محمود حسن. **تطور قطر السياسي والاجتماعي في عهد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني**. القاهرة، 1980م.

العابد، فؤاد سعيد. **سياسة بريطانيا في الخليج العربي 1853–1914**. مطابع ذات السلاسل، الكويت، 1984م.

العثمان، ناصر محمد. **السواعد السمر: قصة النفط في قطر**. مطابع الشرق، الدوحة، 1983م.

العقاد، صلاح. **التيارات السياسية في الخليج العربي**. المطبعة الفنية، القاهرة، 1974م.

العناني، أحمد. «**المعالم الأساسية لتاريخ قطر الحديث**». لجنة تدوين تاريخ قطر، مطابع دار العلوم، الدوحة، 1976م.

——. **جذور الحاضر الخليجي**. دار المتنبي، الدوحة، 1982م.

القحطاني، عبدالقادر بن حمود. **دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**. مطابع رينود الحديثة، الدوحة، 2008م.

لوريمر، ج. ج.. **دليل الخليج القسم التاريخي**. المجلد الجزء الثالث. مطابع علي بن علي، الدوحة، 1975م.

المنصور، عبدالعزيز محمد. **التطور السياسي لقطر 1868–1916**. مطابع ذات السلاسل، الكويت، 1980م.

النبهانيّ، محمد بن خليفة. **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**. دار إحياء العلوم، بيروت، 1999م.

ثانيًا: الأجنبية

References:

Books:

Āl Thānī ,Khālid b .Muḥammad b .Ghānim b' .Alī. *Alḥilī al-Dānī fī Sīrat al-Shaykh 'Alī Āl Thānī.* (in Arabic), Doha, 2009 AD.

——. *Mudawwanāt al-Usrah al-Ḥākimah fī Qaṭar*. (in Arabic), Doha, 2016 AD.

Āl Thānī, Nāṣir b. 'Alī b. Aḥmad. *Lamaḥāt min Tārīkh Qaṭar: Riwāyat al-Shaykh Muḥammad b. Aḥmad b. Muḥammad Āl Thānī*. (in Arabic), Dubai, 2006 AD.

Āl Thānī, Sa'ūd b. Muḥammad b. Ḥasan al-'Abd al-Raḥmān. *I'lām min Qaṭar*. (in Arabic), Oman, 2010 AD.

Al-'Annānī, Aḥmad. *al-Ma'ālim al-Asāsīyyah li Tārīkh Qaṭar al-Ḥadīth*. (in Arabic), Lajnat Tadwīn Tārīkh Qaṭar, Doha: Maṭābi' Dār al-'Ulūm, 1976 AD.

——. *Judhūr al-Ḥāḍir al-Khalījī*. (in Arabic), Dār al-Mutanabbī, Doha, 1982 AD.

Al-'Aqqād, Ṣalāḥ. *al-Tayyārāt al-Siyāsīyyah fī Khalīj al-'Arabī*. (in Arabic), al-Maṭba'at al-Fannīyyah, Cairo, 1974 AD.

Al-'Uthmān, Nāṣir Muḥammad. *al-Sawā'id al-Sumur: Qiṣṣat al-Nifṭ fī Qaṭar*. (in Arabic), Maṭābi' al-Sharq, Doha, 1983 AD.

Al-‘Ābid, Fū’ād Sa‘īd. *Siyāsat Birīṭānīyā fī al-Khalīj al-‘Arabī 1853-1914*. (in Arabic), Maṭābi‘ Dhāt al-Salāsil, kuwayt, 1984 AD.

Al-Buḥayrī, Ṣalāḥ. *Jawānib min Jughrāfīyyat Qaṭar*. (in Arabic), Jordan, 1976 AD.

Al-Dabbāgh, Muṣṭafā Murād. *Qaṭar Māḍīhā wa Ḥāḍiruhā*. (in Arabic), Dār al-Ṭulay‘ah, Beirut, 1961 AD.

Al-Darūbī, Muḥammad Maḥmūd. *al-Shaykh ‘Abd Allāh b. Qāsim Āl Thānī*. (in Arabic), Arūqah, Jordan, 2014 AD.

Al-Ḥusaynī, ‘Abd Allāh. *Qaṭar Wa Tharwatuhā al-Nifṭīyyah*. (in Arabic), Maṭābi‘ Majallat al-‘Ahd, Doha,1984 AD.

Al-Jābir, Mawzah Sulṭān. *al-Taṭawwur al-Iqtiṣādī wa al-Ijtimā‘ī fī Qaṭar 1930-1973*. (in Arabic), Dār al-Sharq lil Ṭibā‘ah, Doha, 2002 AD.

Al-Khulayfī, Yūsuf ‘Abd al-Raḥmān. “Tārīkh Sharq al-Jazīrah al-‘Arabīyyah”. (in Arabic), *Mu’tamar Dirāsāt Tārīkh Sharq al-Jazīrah al-‘Arabīyyah*, Ittiḥād al-Mu’arrikhīn al-‘Arab, Doha, Lajnat Tadwīn Tārīkh Qaṭar, 1976 AD.

Al-Khuṣūṣī, Badr al-Dīn ‘Abbās. *Dirāsāt fī Tārīkh al-Khalīj al-‘Arabī*. (in Arabic), Maṭba‘at Dhāt al-Salāsil, kuwayt, 1988 AD.

Al-Manṣūr, ‘Abd al-Azīz Muḥammad. *al-Taṭawwur al-Sīyāsī li Qaṭar 1868-1916*. (in Arabic), Maṭābi‘ Dhāt al-Salāsil, kuwayt, 1980 AD.

Al-Nabahānī, Muḥammad b. Khalīfah. *al-Tuḥfah al-Nabaḥānīyyah fī Tārīkh al-Jazīrah al-‘Arabīyyah*. (in Arabic), Dār Iḥyā’ al-‘Ulūm, Beirut,1999 AD.

Al-Qaḥṭānī, ‘Abd al-Qādir b. Ḥammūd. *Dirāsāt fī Tārīkh al-Khalīj al-‘Arabī al-Ḥadīth wa al-Mu‘āṣir*. (in Arabic), Maṭābi‘ Rīnūd al-Ḥadīthah, Doha, 2008 AD.

Al-Ṣarrāf, Maḥmūd Ḥasan. *Taṭawwur Qaṭar al-Siyāsī wa al-Ijtimā‘ī fī ‘Ahd al-Shaykh Qāsim b. Muḥammad Āl Thānī*. (in Arabic), Cairo, 1980 AD.

Al-Shalaq, Aḥmad Zakariyyā, wa ‘Aqīl, Muṣṭafā, wa al-‘Abd Allāh, Yūsuf Ibrāhīm. *Taṭawwur Qaṭar al-Sīyāsī-min Nash’at al-Imārah Ḥattā Istiqlāl al-Dawlah.* (in Arabic), Maṭābi‘ Rīnūd al-Ḥadīthah, Doha, 2006 AD.

Al-Shamlān, Sayf Marzūq. “al-Ghawṣ ‘An al-Lū’lū’ fī Qaṭar”. (in Arabic), *Mu’tamar Dirāsāt Tārīkh Sharq al-Jazirah al-‘Arabīyyah*, Mujallad 2, Ittiḥād al-Mu’rrikhīn al-‘Arab, Doha, Lajnat Tadwīn Tārīkh Qaṭar, 1976 AD.

Al-Shaybānī, Muḥammad Sharīf. *Imārat Qaṭar al-‘Arabīyyah Bayn al-Māḍī wa al-Ḥāḍir*. (in Arabic), Dār al-Thaqāfah, Beirut, 1962 AD.

Al-Tājir, Muḥammad ‘Alī. *‘Aqd al-Lāl fī Tārīkh Awāl.* (in Arabic), Mu’assasat al-Ayyām lil Tibā‘ah wa al-Ṣiḥāfah wa al-Nashr, Bahrain, 1994 AD.

Al-Tamīmī, ‘Alī ‘Abd al-Raḥmān Abā Ḥusayn. “Makānat al-Baḥrayn, fī al-Tārīkh al-Islāmī”. (in Arabic), *Majallat al-Wathīqah*. (1993 AD): Vol. 44-74.

Al-Tamīmī, Abī Muḥammad Ibrāhīm Jār Allāh b. Dukhnah. *al-Ma‘āḍīd wa Qaṭar: Tārīkh wa Nasab wa Ḥaḍārah*. (in Arabic), Kuwait, 1999 AD.

Dhiyāb, Muḥammad ‘Abd Allāh. *Dawlat Qaṭar: Dirāsat li Ẓurūf al-Bī’ah al-Ṭabī‘īyyah wa ‘Alāqātuhā.* (in Arabic), Dār al-Fikr al-‘Arabī, Cairo, 2001 AD.

Ibrāhīm ‘Abd al-‘Azīz ‘Abd al-Ghanī. *Qaṭar al-Ḥaīthah: Qirā’ah fī Wathā’iq Sanawāt Nash’at Imārat āl-Thānī.* (in Arabic), al-Sāqī lil Nashr wa al-Tawzī‘, London, 2003 AD.

Lūrīmar, J. J. *Dalīl al-Khalīj al-Qism al-Tārīkhī.* (in Arabic), Maṭābi‘ ‘Ali b. ‘Alī, Doha, 1975 AD.

Riyāḍ, Muḥammad. “Mudun al-Khalīj wa Taṭawwuruhā wa Mushkilātuhā al-Mu‘āṣirah”. (in Arabic), *Ḥawlīyyat Kullīyyat al-Insānīyāh wa al-‘Ulūm al-Ijtimā‘īyyah*, Jāmi‘at Qaṭar, 1980 AD, pp. 77-115.

Sinān, Maḥmūd Bahjat. *Tārīkh Qaṭar al-‘Ām*. (in Arabic), Maṭba‘at al-Ma‘ārif, Baghdad, 1966 AD.

Reports and Treatments:

I.O.R./15/1/12. "Qatar-Bahrain War (1867-1868 AD)".

I.O.R 12 .15/2/26/.September 1868 AD.

I.O.R 11 .15/1/18/June 1873 AD.

I.O.R 27 .15/1/74/October 1873 AD.

I.O.R 16 .15/1/74/September 1876 AD.

I.O.R/15/1/77/very series 3 .February 1877 AD.